

الغريبة منذ طفولتها

هيف كهرمان

عراقية غزت برسومها الصالات العالمية



● كهرمان لم تعيش في العراق إلا قليلاً غير أنها حملته معها إلى بلاد اللجوء باعتبارها رمزاً روحياً وحجاباً سحرانياً وخرزاة نكريات، وثقافة شعبية تظهر في مركب الإرث الاجتماعي من جهة والحروب من جهة أخرى. أعمالها كما في لوحتها «صاموط لاموط».

لحظات قهر في رسوم سردية، يقع جوهر لغتها البصرية في ثقافة الشتات التي يلعب الجسد دوراً مركزياً فيها. تعيد المرأة إلى مركز الحكاية الذي أزيحت عنه بسبب العنف التاريخي الذكوري. وهو عنف مركب. الإرث الاجتماعي من جهة والحروب من جهة أخرى. هل يمكن للرسم أن يشكل نوعاً من التعويض؟ لا يكفي أن يرى المرء ما يتذكره بل يجب عليه أن يهاجر بحواسه كلها. عليه أن يكون الآخر أو بالأحرى. فتجربة هيف كهرمان الفنية هي مرآة حياة مدممة عاشتها المرأة وهي تتكافح من أجل البناء بضمها.

«من أجل أن لا تقتل ستظل تروي الحكايات التي يتصل بعضها ببعض الآخر» تلك هي حال شهرزاد وهي حال هيف كهرمان وهي ترسم سلاسل من الرسوم التي لا يمكن أن تنتهي. «اجساداً لا لزوم لها» ذلك هو عنوان معرضها الذي أقامته في هونولولو. اعتقد أنها ذهبت بعيداً على مستوى الجغرافيا. ولكن ذلك لا يعني شيئاً بالنسبة لها. لن تعرض تجاربها على من يعرفها. ستراقب الأثر على وجوه من لا يعرف عنها شيئاً. ربما يشبه الأمر التعرف على غربة نساء تائهات في كتاب. ترسم كهرمان على الواح من الكتان نساء تستعير أشكالهن من رسوم تنتمي إلى عصور مختلفة وبالأخص عصر النهضة. إنها معجبة بصور الملكات والأميرات كما رسمهن روبنز ورامبرانت وغويا وفيلاسيكز. غير أنها تجردهن من عصرهن حين ترسم أشباههن على خلفية فارغة. فهي لا تنوي سوى إلقاء التحية على نساء ذهبت عصورهن إلى الخفاء. تعلمها الاستعارة أشياء كثيرة عن الرسم. وهي رسامة متمكنة أكاديمياً. غير أن ذلك التعلم لا يقف بينها وبين نفي الصلة بكل ما تنطوي عليه تلك العصور من معانٍ. إنها ابنة عصرها. ابنة غربتها ولجونها وتشزدها ونفيتها وضباعها اللغوي. فهي تتكلم لغة ليست هي لغتها الأم. ولكن ذلك كله لا يقف بينها وبين الحقيقة. حقيقة الرسم الذي ينطوي على الكتابة والمسرات.

نساؤها ترسمهن كهرمان كما لو أنهن طيور مقطعة، وهي تصر على الإشارة إلى ما يعانين وسط غربة أحوالهن في أرض الواق واق، تلك الجزر المتخيلة وغير المرئية التي تكتسب المرأة من خلال الوجود عليها طابعا سرمديا

«كنت أرغب في تقليد مفهوم اللحم كوسيلة دفاع» ما الذي يعنيه ذلك الكلام الغامض وسط ركام من الصور التي تُسعد وكأنها قادمة من زمن غير محيط الأمل ليس كذلك. تقول الفنانة «لدي العديد من الذكريات التي تنطوي على الصوت المرعب لصفارات الإنذار للغارات الجوية. لذلك بدأت البحث في كيفية ترجمة الذاكرة الصوتية إلى كائن. قادمي هذا إلى كتاب بعنوان (الاستماع إلى الحرب والصوت والموسيقى والبقاء في زمن الحرب بالعراق) حيث يصف المؤلف مقابلة مع أم تحمي أطفالها من أصوات الحرب العنيفة من خلال الإمساك بهم بإحكام والضغط بذراعها على أذنانهم. كان جسدها بمثابة بيئة مثالية لحماية أطفالها».

الرسم تعويضاً
ترسم كهرمان نساءها كما لو أنهم طيور مقطعة وهي تصر على الإشارة إلى ما يعانين وسط غربة أحوالهن في أرض الواق واق. تلك الجزر المتخيلة هي عبارة عن مفردة غير مرئية تكتسب المرأة من خلال الوجود عليها طابعا سرمديا. ذلك الكائن الذي يقاوم بغبطة حواسه ما يواجهه من

ابن بطوطة في رحلته الشهيرة غير أن كهرمان تمشي في أثر ابن بطوطة لتري بعينيه الخياليين ما كان قد رآه وهو يمزج بين الواقع والخيال. أكان عليها أن تذهب إلى تلك الجزر الخيالية لتكتشف أن وطنها المفقود لا يزال حياً هناك؟

ذكرياتها التي تسيل
ولدت كهرمان ذات الأصول الكردية في بغداد العام 1981. في طفولتها التحقت بمدرسة الموسيقى والباليه في العراق. ثم هاجرت إلى السويد برفقة عائلتها بعد حرب العام 1990. لوقت قصير درست الموسيقى والباليه، غير أنها توقفت عن ذلك حين اكتشفت وهي لا تزال صغيرة ولعبها بالرسم. أكملت دراستها الجامعية في جامعة أوميو شمال السويد ومن ثم ذهبت إلى فلورنسا لدراسة الرسم والتصميم. وتقيم الآن وتعمل في لوس أنجلوس.

في وقت قياسي اكتسبت كهرمان شهرة وضعتها في الصف الأول من فناني اللحظة الراهنة. لذلك لأن أول عروضها الشخصية تعود إلى عام 2010 في لندن وبي. ثم تناولت معارضها في أهم الصالات الفنية في عدد من الولايات الأمريكية. الأمر الذي يكشف عن غزاتها في الإنتاج وتنوع الأفكار التي تستلهم منها حكاياتها.

وتشاطر الفنانة في العروض الفردية شجع الملتقيات الفنية العالمية داخل الولايات المتحدة وخارجها على توجيه الدعوة لها واستضافتها وترشيحها لجوائزها.

تقف كهرمان في المسافة التي تفصل ما بين واقعها باعتبارها لاجئة وبين ذكرياتها التي تعود بها إلى وطنها السابق. غير أن تلك المسافة لا تظهر بشكل مباشر لأن الرسامة تتعمد أن تروي شيئاً فيما يقع هدفها في مكان آخر. سيكون النظر وإعادة جاهزين دائماً في التعامل مع مشكلات من نوع «الهوية والهجرة والمرأة والضحية والنتية والاستفهام» من خلال سلسلة متلاحقة من الصور التي يوضح بعضها البعض الذي سبقه من غير أن يفقده استقلاله. لقد جربت كهرمان أن تكون موجودة في مكانين. المكان الذي تعيش فيه والمكان الذي قدمت منه.

كان صعباً عليها أن تفصل بين شخصيتها وهما تتصارعان على الهوية الوطنية فيما كانت تبحث في تفاصيل هويتها كأمراة. تحل اللغة هنا محل الوطن. لغة الأنثى التي تحمل معها الكثير من الأسئلة التي تنطوي على جمال من نوع خاص.

في رسوماتها من خلال حكايات نسائها لتوحي بان هناك مكيدة تقع في كل لحظة. هل العراق وطن أم هفوة؟ تتعثر هيف به. في المخطوطة والصيحة والشاة المذبوحة والأغنية والكابوس والفكرة الضائعة والنتية.

ترسم كهرمان بيد مزوق كتب قديمة، فلا تقف أمامها الحدود بين الأمم الشرقية من العراق إلى اليابان مروراً بفارس وأفغانستان والهند. إنها عراقية بالمعنى الذي سيجعلها على سفر دائم. وفي الوقت نفسه فإن رحيلها بين الأزمنة يجعلها تجمع بين الواسطي الرسام العراقي القديم وبين هنري ماتيس الرسام الفرنسي الحديث.

أولئك النسوة اللواتي ترسمهن لا يقمن في مكان بعينه ولا يعشن في زمان محدد. غير أن ظهورهن لا يندم عن عبث تزييني أو يندرج في مجال الغزل. المرأة بالنسبة إلى الرسامة هي ضحية كل ما يقع من حولها بدءاً بالمتجمع الذكوري وانتهاء بالحروب. إنها حاملة قضية لا يمكن تجريدها من الألم والعذاب والمقاومة وروح التضحية بالرغم من أنها تظل مخلصاً لمبدأ وجودها الجمالي.

لقد جربت كهرمان بنفسها ما الذي يعنيه أن تكون المرأة عراقية. سفر هادئ ومنغم إلى الحميم برفقة الكثير من الإغراءات الجمالية التي تستدعي صوراً حلمية مستلهمة من الحكايات التي تحلق بخفة ذاهبة في اتجاه جزر الواق واق. تلك جزر اخترعتها مخيلة الرحالة العربي

الحدود بين الأمم الشرقية لا تقف في وجه كهرمان، من العراق إلى اليابان مروراً بفارس وأفغانستان والهند. ورحيلها بين الأزمنة يجعلها تجمع بين الواسطي الرسام العراقي القديم وبين هنري ماتيس الرسام الفرنسي الحديث



● نساء كهرمان اللاتي ترسمهن على الواح الكتان تستعير أشكالهن من رسوم تنتمي إلى عصور مختلفة.